

٣

القاضي والأمير

خليل محمود الصمادي

مكتبة العبيكان

ح مكتبة العبيكان، ١٤٢٢هـ

فهرسة مكتبة الملك فهد الوطنية أثناء النشر

الصمادي، خليل محمود

القاضي والأمير.- الرياض.

١٨ ص، ١٧X ٢٢ سم – (سلسلة قصص من التراث)

ردمك: X – ٩٩٢ – ٢٠ – ٩٩٦٠

١– القصص القصيرة العربية – السعودية

أ – العنوان ب – السلسلة

ديوي ٨١٣,٠١٩٥٣١ ٢٢/١٥٥٠

ردمك: X– ٩٩٢ – ٢٠ – ٩٩٦٠ رقم الإيداع: ٢٢/١٥٥٠

الطبعة الأولى

١٤٢٢هـ/ ٢٠٠١م

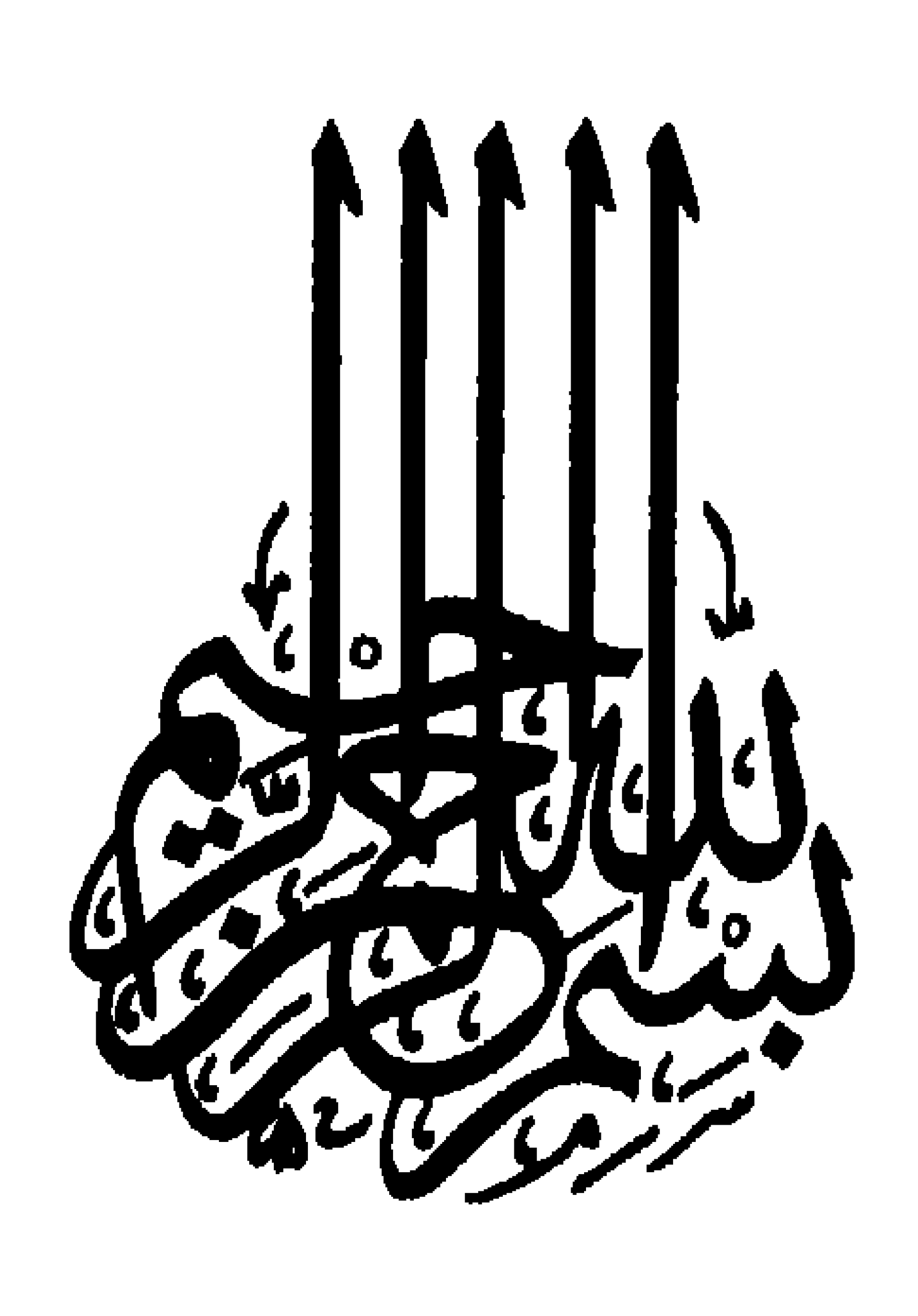
الناشـــــر

مكتبة العبيكان

الرياض - العليا - طريق الملك فهد مع تقاطع العروبة

ص.ب ٦٢٨٠٧ الرمز ١١٥٩٥

هاتف ٤٦٥٤٤٢٤ فاكس ٤٦٥٠١٢٩



اجْتَمعَ الوَرَثَةُ في منزلِ أخيهم الكبيرِ، كانُوا خَمْسَةَ رجالٍ وامرأةً، وَرِثُوا حقلاً واسعًا في الكوفةِ مِنْ أبيهم الذي ماتَ قبلَ مُدةٍ.

اتَّفَقَ الرجالُ الخمسةُ على بَيْعِ حصصِهِمْ للأميرِ موسى بن عيسى الذي أعجبهُ الحَقْلُ وأرسلَ حاجبَهُ لِشِرَائه.

لم تُوافِق المرأةُ على بيعِ حصَّتِها، حاولَ الإخوةُ إقْنَاعَهَا فلمْ يفلحُوا، وقالُوا لها: مَالَنا والأميرُ، لسْنَا قادرينَ على الرفضِ، وهو قد دَفَعَ سِعْرًا مَعْقُولاً.

صاحتِ المرأةُ: إذَا أردتمْ بيعَ حِصَصِكمْ فهذا شأنكمْ وأَمَّا أنا فلنْ أبيعَ حصتي، مهما حَاولَ الأميرُ.

حاولَ الإخوةُ تحذيرَ أختهم من بطشِ الأمير ورجالِهِ لكنَّ الحيلةَ أعْيَتْهُمْ.

قامتِ المرأةُ إلى الحقلِ وخطتْ حِصَّتَها، وأقامتْ جداراً يفصلُ بينَ بُستانِها وبساتينِ إخوتِها، وصارت تخرجُ كلَّ يومٍ إليهِ ولما ثقلَ عليها العملُ استأجرتْ رجلاً مزارعًا يقومُ بحفظِ النخلِ وزرعِ الزرعِ، وسقي الأرضِ بالماء، وأقامتْ له منزلاً صغيراً عند مدخل البستانِ، حتى يظل هناك يحرس الحقل ليل نهارَ.

تنازلَ الإخوةُ الخمسةُ عنْ حصصِهِمْ وأتمّوا البيعَ، وانتقلتِ الملكيةُ للأميرِ الذي ظلَّ يفكرُ في امتلاكِ البستانِ كلِّه.

ذهبَ رجالُ الأميرِ إلى المرأة، وسَاوَمُوها على حصَّتِها ودفعُوا لها ثمنًا باهظًا أَكْثَر مما أَخَذَ الإخوةُ جميعًا.. لكنَّها رفضتِ البيعَ...

علمَ الأميرُ بشأنِها فاستشاط غضبًا وأمرَ رجالَهُ بمضايقةِ الحارسِ، وفعلاً صارُوا يضايقونَهُ ويرهبونَهُ حتَّى هدموا بيتَهُ الصغيرَ والقوا أغراضَهُ خارج الحقل فخاف وفَرَّ إلى وسطِ المدينةِ هربًا من الأمير وبطشِ رجاله.

كما قامُوا بهدمِ السُّورِ الذي يفصلُ الحقلَ الصغيرَ عن بقيةِ البستانِ الذي اشتراه الأميرُ وأخيراً دَرستْ[1] معالمُ حقلِ المرأةِ وضاعَ في الحقلِ الكبيرِ ولم يبقَ من أثرهِ شيءٌ.

عَلِمَتِ المرأةُ بما جرى، فأسرعتْ إلى حقلِها فلمْ تتعرفْ عليهِ امتلأ قلبُها غيظًا منْ فعلِ الأميرِ ورجالِهِ، وتنبهتْ إلى قولِ إخوتِها عندما حذروها من بطش الأميرِ، فكرتْ ماذا تفعل؟ هلْ تسكتُ عن الظلمِ أمْ تشتكي على الأميرِ...

قررتْ أنْ تذهبَ إلى دارِ القضاءِ لترفع شكوَى على الأمير عمّ خليفةِ المسلمينَ المهديّ.

كانَ قاضي الكوفةِ يَومها شُرَيْكَ بنَ عبدِ الله، القاضي العادلُ الذي لا

(١) درست: أزيلت.

تَأْخُذه في الله لومةُ لائمٍ.

دخلتْ دار القضاءِ، وصرختْ بأعلى صوتها: أُريدُ القاضيَ شريكَ بنَ عبدِ اللهِ، أين أنتَ يا أبا عبدِاللهِ

– ما الأمرُ أيتُها المرأةْ.

– لقدْ ظُلمتِ يا أبا عبدِاللهِ.

– ومَنْ ظلمَكِ.

– أمير الكوفةِ موسى بنُ عيسى، عمٌّ أمير المؤمنين القابعِ في بَغْدَادَ.

– وكيفَ ظلمَكِ، هَدِّئي مِنْ رُوْعِكِ يا أختاهُ وقُصّي عليَّ قصتَك.

وقصتِ المرأةُ قصتَها على القاضي شريكٍ الذي استمعَ إِليها باهتمامٍ ولما انتهتْ قالَ شَريكٌ: يا غُلامُ.

– أَمْرُ مولايَ.

– اكتبْ إِلى الأميرِ موسى بن عيسى كتابًا تدعوهُ فيهِ إِلى الحضورِ واخْتمهُ بخاتمي، فكتبَ الغلامُ الكتابَ.

أخذَ الحاجبُ الكتابَ وانْطلقَ بهِ إِلى دارِ الإِمارةِ وأعطى الكتابَ للأميرِ وقالَ لهُ: هذا كتابٌ من القاضي شُرَيْكٍ يدعوكَ للمثول أمامَهُ.

أخذَ الأميرُ الكتابَ وقرأَهُ، فتغيرتْ ملامحُ وجهِهِ وصاحَ بغلامه: ادعُ لي صاحبَ الشّرطةِ في الحالِ وما هيَ إلا لحظاتٌ وصاحبُ الشرطةِ يقولُ: لبيكَ أيُّها الأميرُ

- امضِ إلى شريكٍ وقلْ لهُ: يقولُ الأميرُ: يا سبحانَ اللهَ. ما رأيتُ أعجبَ منْ أمرِكِ يا شريكُ، امرأةٌ ادَّعتْ دعوى لمْ تصحْ أتأخذُ بأقوالِها.. وتطلبُ من الأميرِ المثولَ أمامَها؟!

- إنْ رأى الأميرُ أنْ يعفيني من هذهِ المهمةِ.

- ولِمَ؟

- إنني أعرفُ شريكًا وأعرفُ ما سيحدثُ لي إنْ طاوعتُكَ.

- امْضِ ويلكَ

خرجَ صاحبُ الشرطةِ من دارِ الإمارةِ مهمومًا، فقدْ عرفَ مصيرَهُ وعرفَ أينَ سيقْضي تلكَ الليلةَ وربَّما غيرَها، فطلب من غلمانهِ أنْ يسبقوهُ إلى السِّجنِ ويحملوا معهم فراشًا وبساطًا وطعامًا وما تدعو الحاجةُ إليهِ.

ثمَّ مضى إلى شُريْكٍ ووقفَ بين يديهِ وتكلَّم معهُ بشأنِ المرأةِ والبستانِ كما أوْصَاهُ الأميرُ.

أنْصَتَ[1] شريكٌ لصاحبِ الشرطةِ ولما أنهى كلامَهُ قالَ شريكٌ لغلامِه: خذْ بيدِه وضعْهُ في السِّجنِ، عندهَا قالَ صاحبُ الشّرطةِ: واللهِ لقد علمتُ مَبيتي هذهِ الليلةَ وربَّما غيرَها، فسبقتْني فرشَتي والحافي هناكَ.

عَلِمَ الأميرُ ما حصلَ لصاحِبِ شرطتِهِ فدهشَ ممَّا جرى، فاستدْعَى وزيرَهُ على عجلٍ وأمرَهُ أنْ يذهبَ في الحالِ إلى شريكٍ ويقولَ لَهُ: يقولُ الأميرُ: رَسُولٌ أدَّى إليكَ رسالةً، أيّ شيءٍ عليه لماذَا تحبسه؟ وأوصَاه أنْ يتلطفَ معَهُ ويرجُوه أنْ يفرجَ عن صاحبِ الشرطةِ، وألا يحمِّل الدعوى أكثرَ منْ ذَلكَ قبلَ الوزيرُ هذهِ المهمةَ وهو على يقينٍ بالذي سيحصلُ لهُ ولكنَّهُ لمْ يستطعْ رفضَ طلبِ الأميرِ.

وصلَ الوزيرُ إلى دارِ القضاءِ وقالَ لشريكٍ ما أوصاهُ به الأميرُ. استمعَ شريكٌ إلى الوزير بهدوءٍ فلمَّا انْتَهى قالَ لِغُلامِهِ.

خُذْ بيدِهِ واذْهبْ بهِ إلى رفيقهِ صاحبِ الشُّرطةِ، فما أنْ رأى صاحبُ الشُّرطَةِ وزيرَ الأميرِ يدخلُ عليه برفقةِ السجانِ حتى قَهْقَهَ ساخرًا ثم أردف قائلاً: أوَقدْ أرْسلك الأميرُ كما أرْسَلني...

انتظر الأميرُ عودةَ وزيرِهِ، بفارغ الصَّبْرِ وما هيَ إلا لحظاتٌ حتى علمَ

---

(١) أنصَت: استمع باهتمام.

الخبرَ، ولكنْ ما الذي سيفعلُهُ؟ قاتل الله الطمعَ والجشعَ، مالي وللمرأةِ وبستانِها، هكذا صار يهذي ويلوم نفسَهُ.

جلسَ في قصرِهِ مكتئبًا، كوَّر قبضتَهُ وأسندَ عليها رأسَهُ وأخذَ يفكرُ في أمرِ هذا القاضِي الذي شغل بالَهُ، وبالَ إمارتِهِ، ما الحلُ في هذهِ القضيةِ؟ وكيفَ الخروجُ مِنْ وَرْطَتِهَا؟ وصار يُناجي نفسَه:

هلْ أرسلُ شخصًا آخر، لا.. لا... فالسجنُ مصيرُه: هلْ أذهبُ بنفسي إلى دارِ القضاءِ، لا.. ربما أسجنُ كالوزيرِ وصاحبِ الشُّرطةِ وساكونُ أضحوكةً في الكوفةِ كلِّها.

وأخيراً اهْتدَى إلى خُطَّةٍ عَسَاها أن تحلَّ المشْكلةَ وتنقذَهُ مما هو فيه.

أَرْسَلَ حجابَهُ وغلمانَهُ يَدْعونَ وجوهَ الكوفةِ[1] إلى الاجتماعِ مع الأميرِ بعدَ صلاةِ العَصْرِ، فحضرَ المدعوونَ وصلوا العصرَ مع الأمير وكانَ منهمْ إسْحاقُ بن الصباحِ الصديق الوفيُّ للقاضي شُريكٍ.

ولمَّا انتهتِ الصلاةُ خاطبهم الأميرُ قائلاً: اذهبوا إلى القاضي شريكٍ وأبلغوهُ سلامي، وقولُوا له: إنَّهُ استخفَّ بالأميرِ وأنا عمُّ أميرِ المؤمنين، وإني أكادُ أفقدُ هَيْبتي بينِ العامة، واطلبُوا منهُ أنْ يُفرجَ عنْ صاحب الشُّرطةِ

(١) وجوه الكوفة: أعيانها ورجالها المشهورون.

والوزير، وأنْ ينهيَ القضيةَ دونَ ضجيجٍ.

مضَى إسحاقُ بنُ الصَّباحِ وجماعتُه إلى القاضي شريكٍ، وكلُّهم متيقنون أنَّ شُريكًا سيستجيبُ لهمْ لأنَّهمْ أعْيَان الكوفة ووجهاؤها، سألُوا عنهُ، فوجدوهُ جالسًا في المسجد وحَوْلَهُ جماعةٌ من النَّاسِ يستفتونَهُ في أمورِ الدينِ.

انتظر الوفدُ حتى أنهى القاضي جلْسَتَهُ فتكلَّموا في أمرِ المرأةِ والوزيرِ وصاحب الشُّرطةِ وأبلغُوه رسالةَ الأميرِ فلما أنهوا كلامَهُمْ وقفَ شريكٌ قائلاً لهمْ: كيف تجرؤون على الحديثِ في أمرٍ ليسَ منْ شأنِكم؟ لماذا لمْ تحضروا قبلَ هذا اليومِ لرفعِ الظلمِ عنِ المرأةِ الضعيفةِ؟

ثم سكتَ بُرهةً، ونادى في الجماعةِ التي كانَ يُفْتيها: مَنْ منكمْ يُريدُ أجرًا قد ساقَهُ اللهُ إليهِ، فصاحَ جَماعةٌ من الفتيانِ: نحنُ مستعدون!! فقالَ لهمْ: ليأخذْ كلُّ رجلين منكمْ واحداً من هؤلاءِ الرجالِ واذْهبُوا بهمْ إلى السِّجنِ!! ثم قالَ لوجوهِ الكوفةِ: لم تأتُوا إلا للفتنةِ وما جزاؤكمْ عندي إلا الحبسُ.

دَهِشَ الوفدُ منْ أمرِ شُرَيكٍ وقالوُا له: أحقًا تريدُ أن تحبِسَنَا؟.

قال شُريكٌ: وهلْ أمزحُ معَكم؟ أريدُ أن أحبسَكم حتَّى لا تكونوا يدًا للظالمِ يبطشُ بها مَنْ يُريدُ.

صاحَ إسحاقُ بنُ الصباحِ: وأنا يا أبا عبدالله هل أذهبُ إلى السجنِ؟ قال شُريكٌ للغلمانِ: ليكن صَديقي إسحاقُ بنُ الصَّباحِ أولَ منْ تأخذونَهُ!!

خرجَ الرِّجالُ منَ المسجدِ وكلٌّ واحدٍ منهمْ يُمْسِكُ به اثنانِ منَ الفتيانِ ومرُّوا في شوارعِ الكوفةِ، ورآهمْ جَمْعُ غفيرٌ مِنْ النَّاسِ، وسارَ بعضُهم خلفَهمْ حتىَّ وصلوا إلى السجن، وكانوا حَديثَ الكوفةِ يومَها.

وسرعانَ ما علمَ الأميرُ موسى بالأمرِ، لقدْ كانَ في قصرِه ينتظرُ قدومَ الوفدِ مصحوبًا بصاحبِ الشُّرطةِ والوزير، ولما شاهدَ النَّاسُ وجوهَ الكوفةِ يسيرونَ بقبضةِ الفتيانِ إلى السجنِ كانت العيونُ[1] قد أعْلَمَتْهُ الخبرَ.

اشتدَّ غيظُهُ، وامتلأَ قلبُهُ حقداً، وغِلاً، وصارَ يناجي نفسَهُ: أيعقلُ أنْ يفعلَ بي شُريكٌ كلَّ هذا.

لَنْ أنتظرَ كثيراً، لقد بلغَ السيلُ الزبى[2]، لن أكونَ موضَع استخفافٍ في الكوفةِ أكثرَ مِنْ ذلكَ.

أيُّها الجنودُ، أيُّها الحراسُ، عليكم بالذهابِ إلى السجن في الحالِ وأخرجوا كلَّ مَنْ هناكَ على ذمةِ قضيةِ البستان والمرأةِ.

(١) العيون: الجواسيس.

(٢) مثل يضرب عند مجاوزة الحد.

هكذا صرخَ الأميرُ في رجالِه، وما كانَ منهمْ إلا أنْ استجابُوا لأمرِهِ فذهبوا إلى السجنِ وأمَروا السجَّان بفتحِ بابِ السجنِ، وقاموا بإخراجِ كلٌ مَنْ حَبَسَهُ شريكٌ في هذهِ القضيةِ.

فرحَ المسجونونَ الخارجونَ، ودَهِشَ صَاحِبُ الشُّرطةِ وظن أنَّ شريكًا قد أمرَ بالخروجِ، فحمل فرشتهُ ولحافَهُ وسبقَ القومَ إلى بيتهِ.

وفي اليوم التالي، جلس شَريكٌ للقضاءِ، جاءَهُ السَّجانُ بالخبرِ المزعجِ لم ينتظرَ كثيرًا، هلل[1] وحوقل[2] ثم جمعَ أوراقهَ كلَّها، ووضعها في محفظتهِ وختمَها، وأمر غُلامَهُ بفض[3] المجلس وذهبَ إلى منزلهِ مُسْرِعًا شَعَرَ بعضُ مساعديهِ بنيتهِ السَّفرِ إلى بغدادَ، فلحقوه إلى منزله فرأوهُ يرتبُ أغراضَهُ فسألُوه أنْ يتريثَ قليلاً فقالَ لهم: واللهِ ما طلبناَ هذا الأمرَ منهمْ ولكنْ أكْرهونا عليهِ، لقد ضَمِنُوا لنا الإعزازَ وعدمَ التدخلِ في شؤونِ القضاءِ، وأنْ نقْضيَ بينَ الناس على شرعِ اللهِ وسنةِ رسولهِ وأنْ نحكمَ بالعدلِ، أيرضيهم أنْ نَظْلِمَ الناسَ ونبغي عليهمْ؟ كلاً واللهِ.

ثمَّ جهزَ راحلتَهُ متوجهًا نَحْوَ قنطرةِ الكوفةِ يريدُ بغدادَ، ليقابلَ أميرَ المؤمنين المهدي ليعفيهُ منْ هذا العملِ.

---

(١) هلل: قال لا إله إلا الله. (٢) حوقل: قال: لا حول ولا قوة إلا بالله.

(٣) فض المجلس: أنهاه.

لمْ يَمْضِ وحدَهُ، بلْ لحقَهُ، غلامُه وجيرانُه وكاتبوهُ ومساعدوهُ وكانَ مَوْكِبًا مهيبًا، الكلُّ يدعو لهُ بالثباتِ والخَيْرِ، ومنهم منْ يغبطُهُ على هذهِ الجرأةِ في الحقِ، والإصرار على العدلِ.

بَلَغَ الخبرُ الأميرَ موسى بنَ عيسى على عجلٍ وكادَ يفقدُ صوابَهُ.

أيعقلُ أن يتركَ شُرَيكٌ هذا المنصبَ، ويذهَب إلى بغدادَ؟ لم يتأخر الأميرُ كثيراً فالموقف عَصِيب[1] أسرعَ وركبَ جوادَهُ وانطلقَ يعدُو خلفَ الموكبِ حتىً أدركَهُ.

– السلامُ عليكَ يا أبا عبدِ اللهِ.

– وعليكمُ السَّلامُ أيُها الأميرُ.

– أيرضيكَ أنْ تتركَ الكوفةَ دونَ قاضٍ؟

– أيرضيكَ أنْ أحكمَ بالظلمِ؟ ابحثْ عنْ قاضٍ آخرَ لعلَّهُ ينصركَ على البائسينَ والمظلومينَ.

– يا أبا عبدِاللهِ أُناشِدُكَ اللهَ أنْ تبقى مَعنا القضيةُ لا تستحقُ كلَّ هذا.

بل تستحقُ أكثرَ من هذا أيُّها الأميرُ.

---

(١) عصيبٌ: شديد الهولِ.

- أتحبسُ إخوانَك وأصدقاءَكَ، ولمْ يأتوكَ إلا في شفاعةٍ.

- نعم أحبسهمْ، لأنَّهم تدخلُوا فيما لا يَعْنِيهمْ، وسَعَوا إِليَّ لأحقَّ الباطلَ وأبطلَ الحقَّ.

- يا أبا عبدِالله، ارجعْ إلى الكوفةِ، وسأُسوي الأمورَ كلَّها ولا تكنْ إلاَّ راضيًا.

- بل رضا اللهِ سبحانَهُ وتعالىَ في خلقِه أجمعين.

- مَا عَليَّ أنْ افعلَهُ يا أبا عبدِالله حتَّى ترجعَ؟

- أنْ تردَّ جميعَ مَنْ أخرجْتَ من السِّجن.

- سأردُّهم حالاً.

- ولنْ أبرحَ مكاني هذا حتىَّ أتيقنَ الخبرَ.

- سمعًا وطاعةً أيُّها القاضي.

في الحال أمَرَ موسى بعضَ غلمانِه أنْ يسرعَ للتوٌ إلى قصرِ الإمارةِ ويطلبَ منَ السَّجانِ أنْ يَرُدَّ كلَّ من خَرجَ من السِّجنِ على ذمةِ هذهِ القضيةِ.

وظلَّ شريكٌ واقفًا مكانَهَ حتى أتاهُ السَّجَانُ فقالَ لهُ: قد عادوا جميعًا إلى السِّجنِ.

- هل مِنْ شيءٍ آخرَ يا أبا عبدِالله.

- نعمْ أنْ تذهبَ معي إلى مجلسِ القضاءِ.

- كما تريدُ يا أبا عبدالله.

عادَ شريكٌ والأميرُ إلى الكوفةِ، والموكبُ وراءَهمْ، ودخلا مجلس القضاءِ. أمرَ شريكٌ أنْ تحضرَ المرأةُ المتظلمةُ، فحضرتْ مسرعةً. فقالَ لها:

- هذا خصمُكِ قدْ حضرَ فقومي إلى جانبهِ.

قامتِ المرأةُ وجلسَتْ مع موسى وشريكٌ أمامَهما.

قالَ موسى: لقد أطعتُ الأمرَ فهلْ تأذنُ لأولئكَ بالخروجِ منَ السجنِ؟

- نعمْ.

وأَمَرَ شَريكٌ بإخراجهمْ من السجنِ ثمَّ قالَ:

ما تقولُ فيما تدعيهِ هذهِ المرأةُ.

- صَدَقَتْ.

- تردُّ لها ما أخذْتَهُ، وتبني حائطًا كما كانَ.

- أفْعَلُ ذَلكَ.

ثم قال للمرأةِ: أبقيَ لكِ عليهِ دعوى؟

- نعمْ أيُّها القاضي.

- وما هي؟

بيتُ الحارس ومتاعُهُ.

- قالَ عيسى: ويُرَدُّ ذلكَ كلُّهُ

- أبَقِيَ لكَ دعوى أيَتُها المرأةُ غيرَ ما ذكرتِ.

- لا، وبارك اللّهُ عليك، وجزاك كلَّ خير، وأبقاكَ عَوْنًا للمظلومين.

ثمَّ أذنَ لها بالانْصرافِ.

عندها قالَ الأميرُ: وأنَا ألاَ أنصرفُ كَمَا انْصرفَتْ غَرِيْمَتي[١]؟

- مهلاً يا أخي

- أخي!!

قامَ شُريكٌ وأخَذَ بيد الأميرِ وأجلسَهُ في مجلسهِ وقالَ:

السلامُ عليكَ أيُّها الأميرُ، كيف حالُكَ وأهلُكَ؟

---

(١) الغريم: الخصم.

ذُهِلَ الأميرُ من سؤالِ شُريكٍ وصاحَ: ماذا تقولُ؟

قالَ شُريكٌ: سبحانَ اللهِ، أطمئنُ عليك، .. فَهَلْ تأمُرَني بشيء.

– أنا آمرك بشيءٍ وضَحِكَ ضَحْكَةً ملأتْ دارَ القضاءِ.

نعمْ أيُّها الأميرُ وأقولُ حَقًا، الآن انتهينا من الدَّعْوَى، إنَّ الذي فَعلتَهُ هُوَ حقُّ اللهِ في عبادهِ على كلِّ إنسانٍ، أمَّا هذا القولُ الذي ضحكتَ منْهُ فهو حقُّ الأدبِ والضيافةِ على المسلمِ.

قامَ الأميرُ وانصرفَ وَهُوَ يقولُ:

مَنْ عظَّم أمرَ اللهِ أذلَّ اللهُ لهُ عظماءَ خلقهِ.